بشائر النصر

بقلم: الدكتور عبد الله عزام

الطبعة: الثانية

نشر وتوزيع
مركز شهيد عزام الإعلامي
بيشاور-باكستان

مقدمة
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وبعد:
فقد انصرم عام آخر من عمر الجهاد المبارك على هذه الأرض الطيبة، وأقبل علينا عام آخر مع تباشير النصر التي بدأت تلوح في الآفاق مشرقة بنور الحق الذي أقبل يشتت ظلمة الباطل التي جثمت على صدورنا عقودا من السنين لم نتنسم فيها العزة ولم نرح فيها طيب الكرامة، في ظل لا ظليل ولا يغني من اللهب، في ظل طواغيت من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، أذاقوا الشعوب ويلات يشيب لها الرأس، وفعلوا بهم ما يندى له الجبين، كانوا لنا أعداء ولأعدائنا أوفياء، فاللهم اجعل لنا ولبقية المسلمين منهم فرجا ومخرجا، ووفق المجاهدين في جهادهم وأقم بهم الدين وأعنهم في إرجاع المنارة المفقودة إنك سميع مجيب الدعاء.
ومع إطلالة هذا العام(1408هـ) نحب أن نقدم للقراء الأعزاء خطبة الشيخ عبد الله عزام - وفقه الله - التي ألقاها في عيد الأضحى في بيشاور، عسى الله أن ينفعنا وإياكم بما فيها من التوصية والتذكرة وأن يجمعنا في مستقر رحمته إنه هو البر الرحيم.
الناشر
مكتب خدمات المجاهدين
لمؤسسه الشهيد الدكتور عبد الله عزام

بسم الله الرحمن الرحيم
الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا.
أيها الإخوة المؤمنون ، أيها المسلمون :
هذا يوم النحر ، هذا يوم الحج الأكبر يوم يتقبل فيه الله الدعوات ، يوم ترمى فيه الجمرات ، يوم ينزل فيه نجيع التضحيات ، فأقبلوا على الله عزوجل وأقبلوا على بعضكم ، وتوادوا فيما بينكم ولتتصاف قلوبكم.
يا أيها الإخوة :
هذا اليوم والذي يليه وبعده يومان إلى ثالث أيام التشريق يبقى التكبير في كل مكان: في الأسواق ، في البيوت - وخاصة بعد الصلوات المفروضة - يبقى التكبير بعد كل صلاة إلى عصر اليوم الثالث عشر من ذي الحجة.
ويبقى جواز النحر في هذه الأيام الأربعة : هذا اليوم والذي يليه والذي يليه والذي بعده .. هذا الذي رجحه الشافعية ، وإن كان الحنبلية قد قالوا : إن اليوم الثالث عشر لا نحر فيه ولا ذبح للأضاحي.
يا أيها الإخوة الكرام :
تذكروا أن عدد الحجيج الآن حوالي مليون وثلاثمائة وخمسين ألفا ، فلو ضحى كل واحد منهم بهدي ، لو قدم هديا إلى الله عز وجل ، فكل هذه التي قدموها دون الدماء التي قدمت لأفغانستان من أجل أن تصنع التاريخ الإسلامي.
وكلما تناولتم الحلوى أو أخذتم فاكهة أو أكلتم شريحة لحم تذكروا أن حولكم أناسا لا يجدون فتات الخبز ولا يجدون جلفه ، ولا يجدون الإدام للخبز الجاف ، فتذكروهم في هذا اليوم.
يا أيها الإخوة:
كذلك لا تنسوا أن الإسلام (ونحن في يوم النحر يوم الأضاحي يوم التضحيات) يحتاج إلى بذل الكثير:
ولا يبني الممالك كالضحايا
ولا يدني الحقوق ولا يحق
ففي القتلى لأجيال حياة
وللأسرى فدى لهم وعتق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق
يا أيها الإخوة :

الحمد لله رب العالمين هذا أول عيد يشهد فيه المسلمون ولادة دولة إسلامية قامت على رؤوس الرماح.
هذا أول عيد يستبشر فيه المسلمون قامت فيه قائمة الإسلام.
هذا أول عيد نسمع فيه قيام مجد فوق بحور الدماء صنعت لبناته من العظام والأشلاء.
هذه الدولة كما يقول عنها أبو الطيب :
أغلى الممالك ما يبنى على الأسل
والطعن عند محبيهن كالعسل
أيملك الملك والأسياف ظامئة
والطير جائعة لحم على وضم
يا أيها الإخوة :
يا من تريدون أن تتحرروا من القيود .. يا من تريدون أن تحطموا الأغلال التي ترسف فيها أرجل العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، ومن شرقه إلى غربه، هذا نموذج أمامكم بأن الدماء هي التي تصنع الأحياء .. بأن القتال وميدان النزال هو الذي يبني الممالك ويصنع الأمجاد.
أيها الإخوة :
هذا يوم يجب أن تتذكروا فيه أن العالم كله قد أجمع أمره وصوب سهامه كلها تجاه هذه الدولة الإسلامية الوليدة .. تعاهدوا وتقاسموا بينهم أن لا يقوم للإسلام قائمة منذ بداية هذا القرن، ومنذ أن أطاحوا بهذا العرش الأثيل الذي مكث ثلاثة عشر قرنا منارة سامقة لكل العالم الإسلامي.
ولكن هيهات هيهات إنهم يريدونها تجربة جزائرية يأتون فيها برجل صنعته فرنسا لتقيم دولة اشتراكية شعبية ليس فيها اسم عروبة ولا إسلام.
إنهم يريدونها أن تكون جاهلية أفغانية ليس للإسلام فيها رائحة.
إنهم يريدون أن يثيروا قمامة الجاهلية التي قال عنها رسول الله(صلى الله عليه وسلم) :
؛ دعوها فإنها منتنة«.
ولذا فإنهم يريدون أن يفرضوا الآن على الشعب الأفغني إنسانا من صنائع الغرب صنعوه وراء كواليسهم ، وتربى على أعينهم.
هؤلاء الأمريكان السمر أسماؤهم أسماء الأفغان وعقولهم عقول أنطوان وريغان وميتران.
هؤلاء يريدون أن يفرضوا الآن باسم الدولة الإلحادية التي يسمونها ظلما وزورا دولة حيادية.
ليس في الإسلام حياد.. إما كفر وإما إسلام ، إما إيمان وإما شر وباطل.
نحن نعلم أن هؤلاء ما قدموا قطرة عرق واحدة ولا قدموا ظفرا واحدا.
لم نر نجيعهم سفك .. لم نر أسرهم تمزقت .. لم نر بيوتهم تهدمت .. لم نر أبناءهم يشوهون.
هؤلاء الغربيون- كردفيس وما إلى ذلك- هؤلاء ذاهبون عائدون والعالم كله صامت صمت القبور إزاء هذه الدولة الوليدة لأن الغرب قد أبى أن يرى للإسلام قائمة في الأرض لأن القرارات يجب أن تصنع من خلال البيوت البيض والحمر لا من خلال صفائح البيض والسمر.
إننا فهمنا من خلال اللغة التي تعامل بها الأفغان-لغة البيض والسمر، لغة السيوف والرماح- أن هذه اللغة هي الوحيدة التي تستطيع أن تسمع كل البيض والحمر في العالم.
والأفغان علمونا بإسلامهم وبتوكلهم على الله عزوجل أن نقول كما قالوا:
دع المداد وسطر بالدم القاني
وأسكت الفم وانطق بالفم الثاني
فم المدافع في وجه الطغاة له
من الفصاحة ما يزري بسحبان
هؤلاء علمونا :
إن ألفي قذيفة من كلام
لا تساوي قذيفة من حديد
أيها الإخوة :
هذا نموذج حي.. هذه تجربة رائدة بعدما وصلت الأمة الإسلامية إلى حافة الهاوية.. بعد أن جفت عروقها من النجيع.. بعد أن وقف قلبها عن النبض.. بعد أن وقف جهازها عن التنفس.
الله عزوجل أخرج لها هذا الشعب تجربة حية فريدة فذة غالية في الآفاق تقول للمسلمين: هذه شاهدة أمامكم أقوى قوة في الأرض أمام أضعف شعب مسلم في الأرض يخوض هذا الشعب لعشر سنوات متواصلة حربا طاحنة ضروسا وقتالا مريرا لم يتوقف لحظة.
إن القتال عبر عشر سنوات مرت بها أفغانستان كالطواف بالكعبة تماما.
فكما أن الطواف بالكعبة لم يتوقف طوال هذه السنوات العشر لحظة واحدة كذلك الجهاد في أفغانستان لم يتوقف لحظة.
ومع ذلك لو خاضت روسيا حربا ضد ألمانيا إو ضد فرنسا أو ضد بريطانيا كم ستقف أمامها هذه الدول؟ هل تقف أمامها أسبوعا واحدا؟
ومع ذلك وقف هذا الشعب باعتماده على ربه ، وبتوكله على خالقه ، وبانطلاقه من بين طيات كتابه .. وقف شامخ الرأس عالي الهمة لا يطأطيء رأسا ولا عنقا إلا لخالقه، ولا يذل إلا لبارئه، فأثبت للدنيا كلها أن الإسلام أقوى من الأرض كلها، وأثبت أن المسلم أعز إنسان فوق هذه المعمورة.
والله أيها الإخوة عندما أرى هذا المثال الحي.. هذه التجارب الضخام.. هذه المعارك العظام التي دارت فوق ذرى الهندوكوش وفق سفوح جبال سليمان وعلى أحواض هاري رود والهلمند وجيحون لا يكاد

المرء يصدق أن هذا كان وقائع حية تسري وتجري فوق هذه الأرض ، ويظنه ضربا من الخيال تدركه الأشواق وتقصر دونه الأفعال.
أيها الإخوة :
إن التوكل على الله عزوجل يصنع الأعاجيب ويقيم المعجزات ويحدث في عالم الأرض ما لم يحدثه أي شيء آخر، ونحن لا بد لنا أن ننشد هذه الأبيات لهذا الشعب الكريم :
وصن الحسام ولا تذله فإنه
يشكو يمينك والجماجم تشهد
جف النجيع عليه وهو مجرد
من غمده فكأنما هو مغمد
ريان لو قذف الذي أسقيته
لجرى من المهجات بحر مزبد
ما شاركته منية في مهجة
إلا وشفرته على يدها يد
يأتيك مرتديا بأحمر من دم
ذهبت بخضرته الكلى والأكبد
يا أيها الإخوة :
هذا الشعب الكريم له فضل بعد رب العالمين على كل مسلم في الأرض.
هذا الشعب المسلم العظيم.. هذا الشعب المسلم الكريم له منة في عنق كل مسلم -إن كان في رأسه مسكة من عقل- أما الذين لا يعلمون ناموس رب العالمين ، فإن كانوا جهلة مع إخلاص فنرجو الله أن يغفر لهم، وإن كانوا مغرضين حاقدين فلنسمع قانون رب العالمين وناموسه في مثل هذا الغثاء:
فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.
أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال .
،(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء .
إن الذين لا يعرفون سنن الله في المجتمعات ولا يدركون كيف تدول الدول وكيف تتغير الآمم هؤلاء لا يدركون قيمة الأفغان في واقع الأرض.
وأعداء الله-للأسف- يدركون أعماق هذه التجربة وأبعادها أكثر منا، فيهولهم أمرها وترتعد فرائص العالم كله.
إن الرعب ليجري في دمائهم وترتعد له أبدانهم وترتعش له أعضاؤهم.
إنهم يدركون جيدا ومن هنا يصرح راجيف غاندي:
(إن قيام دولة دينية في أفغانستان خطر على المنطقة كلها).
نعم إنه خطر على المنطقة كلها لأنهم يدركون من هم الأفغان.
إن أحمد شاه بابا ولسبع مرات قد قرع أبواب دلهي، وقد كانت هذه بيشاور عاصمته الشتوية ، وكانت لاهور تحكم من قبل ابن تيمورلنك.
وكم قتل من السيخ هنا على أبواب بيشاور؟
وأما الهندوس فقد قتل منهم ما يزيد على عدد جيش أحمد شاه بابا على أبواب دلهي.
وأحمد شاه هذا كان يستثير القبائل الإسلامية من قندهار يجري بها ويمشي حتى يمر من هذه المنطقة.
وكانت بلوشستان كلها تابعة له.. هذا سنة (1774).
وكان حكمه يمتد من بحر العرب جنوبا حيث كانت كل منطقة بلوشستان تابعة له، ومن مملكته إلى بخارى شمالا، ومن كشمير ودلهي شرقا إلى مشهد ونيسابور غربا، وكان شرق أيران تابعا لأحمد شاه هذا.
إنهم لا يريدون دولة إسلامية .. إنهم لا يريدون دولة أصولية .. إنهم يريدونها دولة معتدلة.. لا يريدونها أصولية.
لا يريدون الأصوليين الذين يرجعون إلى الكتاب والسنة .. الذين تصدر القرارات من عقولهم.. الذين تصنع سواعدهم وعزائمهم إرادتهم ووقائعهم.
إنهم يريدون أن يصدر القرار من رأس ريغان أو رأس غورباتشوف باسم الأمم المتحدة وباسم مجلس الأمن.
أيها الإخوة :
أفلا يأتي يوم نحيا فيه حياة إسلامية
يهتف كل الكون يغني لا شرقيه ولا غربية إسلامية إسلامية
المسلم فقط هو المحروم من حق الحياة.. فقط المسلمون هم الذين يذبحون في مشارق الأرض ومغاربها.. فقط المسلمون هم الذين يقدمون كالشياه قرابين رخيصة على مسالخ ومذابح شهوات هؤلاء الغربيين.

كلما رأوا نفسا في المنطقة أخمدوها وسلطوا عليها أبناء أمتناغ ليضربوها تلك الضربات التي تكال لطلائع البعث الإسلامي في كل مكان، وبالسجن وبالابادة والقمع تقمع أي حركة إسلامية.
والآن وقد نجحت الحركة الإسلامية الأفغانية لم يعودوا يستطيعون أن يرجعوها إلى القمقم مرة أخرى.
لقد تحرك المارد وانطلق من القمقم ولا مجال لارجاعه مرة أخرى، لا سلطة لأمريكا ولا سلطة لمجلس الأمن ، لا سلطة للغرب ولا سلطة لأحد.
إنهم يرتعشون فعلا، لقد جسوا نبض هؤلاء وعجموا عيدانهم فوجدوها صلبة المكسر وليست لينة المعصر، حاولوا أن يحتووهم .. جربوا تربيتهم على الموائد الأمريكية ولكنهم فشلوا.
لقد رد سياف القنصل الأمريكي بعد أن وصل أعتابه، قالوا: يريد أن يقابلك ، فقال: ليس عندي فراغ الآن وأنا مشغول الآن، ورجع على أعقابه خاسرا يجر أذيال الخيبة والخسران.
لقد رفض حكمتيار أن يقابل ريغان- وفي داخل أمريكا-.
ويتعجب السفير الباكستاني قائلا له: أنت مجنون!! هذا ريغان سيد الأرض ستون(60) ملكا ورئيسا على قائمة ريغان ويرفض مقابلتهم ويؤخرها وأنت الفقير يطلب مقابلتك بنفسه وترفض؟ فقال: نعم وإن أصررتم فسأغادر أمريكا الآن-
ولقد رأيت بنفسي الخطاب الموجه من الكونجرس الأمريكي لمحمد ياسر وحكمتيار ، صورة رائعة-
(بما أنكم شعب ضرب المثال الرائع الحي للشعوب التي تريد أن تحطم القيود وتتحرر، فنتشرف بدعوتكم لتلتقوا بالكونغرس الأمريكي مساء(29/10 أكتوبر 1985..).
فقالوا- إن الكونغرس وجه آخر لريغان ورفضوا أن يقابلوا الكونغرس.
لماذا يدعونهم للبيت الأبيض؟ لتؤخذ صورهم وليقال للعالم هذا هو الجهاد الذي يسمونه إسلاميا.. هذا عبارة عن لعبة من (CIA) التي تلعب بالعالم كما شاءت-
ويونس خالص الذي رفض أن يقابل كوردفيز ، وبعد أن ألح كوردفيز ويونس خالص يرفض مع أنه رجل في السبعين من عمره توسط ضياء الحق واتصل بيونس خالص، فقال- إن لم تأت لتقابله فسآتي به إلى بيتك في بيشاور، قال: سأقابله من أجلك لأنك رجل طيب واقف معنا، وقابله وقال له- يا كوردفيز أنا لم أقابلك من أجلك قابلتك من أجل ضياء الحق ، وأنا أنصحك أن تدخل الإسلام(1) [في ندوة أقيمت بمعهد المسجد التابع لرابطة العالم الإسلامي سئل يونس خالص : لماذا قابلت ريغان؟ فقال : والله لم أقابله إلا خشية أن يقول غدا أمام الله أن أحدا من المسلمين لم يدعه إلى الإسلام ، وأول ما قابلته دعوته إلى الإسلام فتلعثم ولم يجب وحاول أن يتهرب من الموضوع بأسئلة أخرى بعيدة].
والشيخ رباني قابل ريغان ، وتكتب الصحف بالخط العريض: لأول مرة في الأرض وفد يقول في وجه ريغان لا.. يقول له ريغان: هل وصلتكم الأسلحة؟ فيجيب الأستاذ رباني أجابة لاذعة وبسخرية عميقة: إننا ننقل أسلحتنا على البغال والحمير عبر أفغانستان ، ولعل أسلحتكم على البغال الأمريكية لم تصل حتى الآن.

يا أيها الإخوة :
يا أيها الأحبة.. هذا النصر الذي من الله به على الأمة الإسلامية لا يجوز أن نفرط فيه بسهولة-
يريدون أن يعتموا عليه ويلقوا عليه الظلال، وكم حاولوا من خلال صواريخ ستينجر ومن خلال ال (CIA) ومن خلال عرض التلفاز الأمريكي القول ان مساعدتنا للجهاد الأفغاني كذا وكذا سنويا أو يوميا ، وما إلى ذلك حتى يصيبوا مقتلا من عقيدة التوحيد التي أحياها الجهاد الأفغاني في قلوب الأمة الإسلامية حتى يهدموا عقيدة التوكل على رب العالمين التي نزعوها منذ قرون وأعادها الشعب الأفغاني بفضل الله-
خلال عقد واحد أعاد التوكل على الله في قلب كل مسلم ، ولذلك عندما رأى القذافي أن نهاية الممالك الظالمة والقادة المتغطرسين الذين يتناسون مشاعر الشعب ولا ينظرون إلى إرادتهم.. عندما رأى نجيب الله يصدر قرارا الضحك عليه أكثر من البكاء وانه ضحك كالبكاء يخرج مرسوما جمهوريا من رئيس الجمهورية الشيوعي- (من تأخر عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من وظيفته..).
وكم تضحك وأنت ترى الشيوعيين يحملون العصي في شوارع كابل كلما نادى المؤذن يسوقون الناس بالعصي إلى داخل المسجد.
هؤلاء الشيوعيون الذين فهموا لغة البيض والسمر .. فهموا لغة الصفائح والقنا.. فهموا لغة المثقف والحسام.. فهموا لغة القذائف والدروع .. فهموا لغة الرصاص-
هؤلاء أدركوا واستيقظوا ، ولا يوقظ الأمم مثل قعقعة الرصاص ومثل الدم الحار المدرار ومثل الشهداء والجرحى على طول الطريق، وآن لنا أن ننشد للشعب الأفغاني-
قعد الناس كلهم عن مساعيك
وقامت بها القنا والنصول
ليس من عنده تدار المنايا
كالذي عنده تدق الطبول
أنت طول الحياة للروس غاز
فمتى الوعد أن يكون القفول
يا أيها الإخوة :
عندما رأى القذافي نجيبا يفعل هذا وعندما رأى أن الضباط الروس يبيعون الضباط الشيوعيين الأفغان، وكم يهزك موقف أن ترى دبابتين من دبابات الروس واقفتين وأمامها المجاهدون بصواريخهم لا يطلقون طلقة والناس واقفون لا تسمع لهم ركزا، ماذا ينتظرون؟ ينتظرون الروس وقد باعوا أحد الضباط الشيوعيين الأفغان بسبعة آلاف روبية باكستانية-

يا أيها الإخوة :
لذا فكر القذافي أن الدائرة ستدور عليه فلا بد أن أبدأ أنا بالثورة قبل أن يثار على فركب البلدوزر وذهب إلى السجن وأخرج المساجين وبدأ يفتح الأبواب ويرجع الناس وفرق السجلات، وسيتبعه حافظ الأسد والطغاة في العالم لأن لغة البيض والسمر أيقظت البيض والسمر .. لغة الأفغان ، لغة السيوف والرماح أيقظت الناس في كل ساح.
يا أيها الإخوة :
لا يجوز أن نفرط بهذا النصر بعد أن وصلنا إليه وقد من الله به على هذه الأمة ، وسيكون له تبع ولتعلمن نبأه بعد حين.
إنها بداية التاريخ الإسلامي والله أعلم.
إن التاريخ الإسلامي بدأ في الصعود والناس الذين نسمع أصوات تكبيرهم الآن في الأرض المباركة في بيت المقدس ما هي إلا أصداء لما يجري في داخل أفغانستان المسلمة، وما نسمعه في داخل أذربيجان إن هي إلا تحركات بعد أن رأوا شعب أفغانستان قد وقف هذه الوقفة.
وكما قال شاليزي صانع الأفلام في بيشاور-الأفلان عن أفغانستان- قال:
إن الجهاد الأفغاني هو أول مسمار في نعش الامبراطورية الروسية وستتقوض روسيا بإذن الله عما قريب ولا أظن الأمر يطول أكثر من عقدين ونصف .. لا أظن أن روسيا تحتمل أكثر من خمسة وعشرين عاما- والله أعلم- فهذا علم الغيب عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا.. لكنها السنة التي نراها تجري ، ولكنها الدول التي نراها تزول، فإذا أردتم أن تدول لكم الدول وترفعوا حقكم وتقيموا إسلامكم وتبنوا أمجادكم فلا بد أن تضحوا كما ضحوا، والذين يريدون أن ينصروا الإسلام من خلال الأقلام أو من خلال المطالعات في الكتب هؤلاء لعلهم يسمعون :
حتى رجعت وأقلامي قوائل لي
المجد للسيف ليس المجد للقلم
فان كانت الدولات قسما فانها
لمن ورد الموت الزؤام تدول
لمن هون الدنيا على النفس ساعة
وللبيض في هام الكماة صليل
أروني عالما واحدا يحكم العالم الإسلامي .
لقد تتبعت التاريخ وما رأيت أحدا حكم إلا بالسيف.
ما رأيت عالما انتخب من شعب، أنظر الآن وقبل الآن الأتراك العثمانيون.. السلاجقة .. المماليك.. الغزنويون.. أحمد شاه بابا كلهم شبه أميين إن لم يكونوا أميين.
وقد حكمت تركيا الأمة الإسلامية خمسة قرون متواصلة وأوروبا تخضع لها.
ويكتبون عن الإنجليزي والفرنسي عندما يموتون في داخل الدولة العثمانية ؛فطس الكافر«.
لذلك كله يقولون كما قال توينبي: إن من المؤكد أننا لم نكن نحب التركي التقليدي المسلم المتحمس الذي كان يثير حنقنا عندما ينظر إلينا من أعلى على أننا زناديق .. حاولنا أن نحط من كبريائه إلى أن استطعنا أخيرا أن نحطم سلاحه النفسي، وحرضناه على القيام بهذه الثورة التي استهلكها الآن أمام أعيننا.
والآن وبعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا وبعد أن أصبح يفتش عن كل وسيلة لجعل نفسه مماثلا لنا وللشعوب الغربية من حوله .. الآن نحن نحس بالضيق والحرج .. بل ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق.
وللتركي أن يردد: لقد نفخنا معكم في القرب فلم ترقصوا وحزنا فلم تبكوا.
لقد حقق الله في هذا الجهاد انتصارات عجيبة ما كانت في خيالنا حتى فى الرؤى والأحلام وما مرت على العالم الإسلامي خلال ثلاثة قرون ، فلا يجوز أن نفرط بها خاصة نحن الذين شرفنا الله بخدمة هذا الجهاد المبارك والذي نرجو الله عزوجل أن يلحقنا فيه بالشهداء.
ونرجو الله عزوجل أن يرزقنا الإخلاص والإستقامة، وأنتم تعلمون أن للشهيد عند ربه سبع خصال:(يغفر له عند أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها ، ويزوج باثنين وسبعين من الحور العين، ويشفع بسبعين من أهل بيته).. حسن رواه الترمذي.
يا أيها الإخوة :
الشعب الفلسطيني ينتظرنا لذلك والمسلمون في كثير من أرجاء الأرض مظلومون محطمون يجتث الإسلام بيد من يسمون بأسمائه ويقتلع من جذوره على يد من يحملون بشرة سكانه، ومع ذلك فهم ألد عليه من أعدى أعدائه.
يا أيها الإخوة :
إن الإسلام ينتظرنا في كل مكان، وحق على كل مسلم إذا أراد العزة في الدنيا وإذا أراد أن يقيم دين الله في الأرض، وإذا أراد أن يغرس التوحيد في المعمورة فلا بد له من استعمال السيف والنار.. لسنا شاكين في قول الصادق المصدوق:
؛ بعثت بالسيف بين يدي الساعة «.
لماذا؟ حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي).
فالرزق ليس من خلال الخطط الخمسية والعشرية ، الرزق كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمجاهدين الذين فتحوا بيت المقدس ووصلوا أرض الحولة واستنفروا قليلا وزرعوا أرضها بسمراء الشام(حنطة الشام).

أرسل إليهم من يحرق زروعهم ثم قال له: بلغهم هذه الرسالة :
إذا تركتم الجهاد واشتغلتم بالزرع ضربت عليكم الجزية وعاملتكم معاملة أهل الكتاب .. إنما أقواتكم مما تأخذون من أفواه أعدائكم.
فهل أنتم معتبرون ومتعظون ؟ أم لا زلتم تنتظرون الآمم المتحدة حتى ترجع لكم الأقصى وحتى تعيد لكم الأرض المباركة؟
اللهم هل بلغت اللهم فاشهد، ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

الخطبة الثانية
الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبركبيرا، والحمد لله كثيرا.
الحمد لله الذي من على عباده بالنصر.. الحمد لله الذي من على عباده بأداء المناسك والعبادات..
الحمد لله الذي من على جنده بالعزة.. الحمد لله الذي أوصلنا إلى مستوى لم نكن والله أيها الإخوة في العام الماضي نحلم حلما أن نصل خلال عام إلى هذا المستوى.
وبعد أن أطبق العالم كله لكي يقنع الناس أن الجهاد الأفغاني قد انتهى حتى تكف أيديهم عن البذل وحتى تقلع مشاعرهم عن المشاركة وحتى تكف قلوبهم عن أن تطير فرحا مع هؤلاء.
إن التلفاز في العالم العربي والصحف وغيرها تردد ما يردده سادتهم في الغرب كالببغاوات كما قال شوقي :
جرب البهتان فيه وانطلى الزور عليه
ياله من ببغاء عقله في أذنيه.
هؤلاء يرددون ما يردده سادتهم الغرب وهم يريدون أن يمنعوا كل يد تمتد لهؤلاء بالمساعدة ، ولكل من جاء ليشارك في مسيرة العز والمجد وليؤدي فريضة الجهاد.
وقد أعلنا كثيرا أن الجهاد في أفغانستان فرض عين وفي فلسطين وفي كل أرض تستطيع استعمال السلاح فيه ليس في أفغانستان فحسب.. بل الجهاد فرض عين على كل مسلم يستطيع حمل السلاح في كل أرض كانت تتظلل بالاسلام ثم اغتصبها الكفار .
وهذا إجماع السلف والخلف من الأصوليين والمحدثين والمفسرين والفقهاء لم أر كتابا تعرض للجهاد ألا ونص على هذه القاعدة والخروج الى الجهاد إذا كا ن فرض عين كما هو الآن لا استئذان من أحد من العاملين لأن القاعدة الشرعية : لا استئذان في فروض الأعيان .. يخرج الولد دون إذن والده والمدين دون إذن دائنه والمرأة -إذا كان معها محرم واستطاعت أن تشارك في الجهاد- دون إذن زوجها.
أيها الإخوة.. أيها الأحبة :
وفرض العين لا ينتهي في أفغانستان بانتصارها بل ويبقى الجهاد فرض عين حتى تعود آخر بقعة كانت إسلامية إلى يد المسلمين وتحكم بالإسلام مرة أخرى، فأمامنا فلسطين وبخارى ولبنان وتشاد وأرتيريا والصومال والفلبين وبورما واليمن الجنوبية الشعبية وغيرها(عد ما استطعت) طشقند ، الاندلس.. كل هذه يجب أن نعيدها حتى يسقط إثم فرض العين من أعناقنا ، وما لم تعد الآمة الإسلامية كل هذه البقاع فهي آثمة، وإثم الجيل الذي يواكب القضية الحية- إثمه أعظم من الأجيال التي تأتي بعده فإثم جيلنا في تفريطه في أفغانستان .. في تفريطه في فلسطين أعظم من الآجيال التي تأتي بعدنا لأنه يواكب القضية وعاشها وهو قاعد.. ومن بعيد إذا جئت تحدثه عن أفغانستان ، فليس لديه وقت أن يستمع قصص الذين صنعوا مجدهم فوق الجوزاء، وأقاموا عزهم فوق عنان السماء وعلى بحور الدماء، وعلى تلال الأشلاء وعلى جبال الشهداء.
ليس عنده وقت.. إنه مشغول وقد فتح له الشيطان مائة باب من أبواب الدنيا.. كيف يترك الوظيفة؟
وكيف يترك أمجادها والجامعة تنتظره وهو على ثغرة من ثغر الإسلام.. إياك أن تذهب للجهاد.
ولتعلموا أن الحكم الشرعي فيمن قال لأحد أنصحك أن لا تذهب للجهاد تماما والله - إن لم يكن أشد- كما أعتقد فلا يقل إثما عن الذي ينصح الشاب القوي الصحيح المقيم في بيته أن يفطر في رمضان عامدا متعمدا بدون أي عذر.
يا أيها الإخوة :
الجهاد ماض رغم أنوف المعارضين أجمعين.. الله تكفل به.. ماض إلى أن يخرج الدجال .. ماض لا يبطله جور جائر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.
(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.
قال لي أحدهم: قال بعض المشايخ أو بعض العلماء : ان الجهاد فرض كفاية، وبعضهم ينصح بعدم الذهاب إلى أفغانستان وبعضهم يرى أن العلم أفضل من الجهاد الآن، وأنا قلت له: إن الله فتح باب الجهاد وسال سيل الجرد الأبابيل وجاءت العتاق تحمل الفرسان من كل مكان.
والله الآن لو أفتوا بحرمة الجهاد في أفغانستان لن يستطيعوا أن يوقفوا هذا السيل فليفتوا كما يشاؤون وأمرهم بينهم وبين رب العالمين ونحن نظن الخير والصدق والإخلاص في كثير من مشايخنا وعلمائنا لكنهم- نقول معقبين مع احترامنا للمشايخ في كل مكان- لو رأوا ما رأينا لأفتوا بما أفتينا ولو علموا ما علمنا من واقع الأمر في أفغانستان لما وسعهم إلا أن يقولوا كما قلنا.
يا أيها الإخوة :
تفقدوا إخوانكم المهاجرين.. روحوا عن قلوبكم بفترات تجلي الصدأ عن قلوبكم بين الأحياء لتجلى قلوبكم مرة أخرى.
أزيلوا الصدأ في صدى ، وفي أي مكان يعدكم للدخول إلى أن تعيشوا مع هولاء الذين رفعوا رؤوسهم عاليا ورفع الله بهم رأس كل مسلم في الأرض.

يا أيها الاخوة :
لا تنسوا كذلك أن الله شرفكم بخدمة الجهاد في هذه البلاد فإياكم إياكم
أن تبطلوا أعمالكم وأن تحبطوا أجوركم وأن تعملوا ألسنتكم ضد شعب أعز الله به الأمة الإسلامية في كل مكان.
إياكم إياكم .. إحفظوا عليكم ألسنتكم وحافظوا على أجوركم ولا تتبرعوا بأن تغطوا الشمس بغربال أو تنكروا الشمس في رابعة النهار.
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم
يا أيها الإخوة:
إن أفغانستان هي بداية الصعود في الخط البياني للعالم الإسلامي أجمع وسيتغير التاريخ بإذن الله ، وكما نظن ونرجو الله أن لا يخلف ظنوننا.. سيتغير التاريخ.
مرارا غير التاريخ أناس خرجوا من هذه البقعة: الخوارزميون والتتار من هذه البقعة والغزنويون من هذه البقعة والأفغان من هذه البقعة ولتعلمن نبأه بعد حين.
أيها الإخوة :
شرفكم الله أن تكونوا طلائع أقوامكم فكونوا لسان صدق للجهاد.. كونوا لسان صدق ولا تكونوا مخذلين ولا مثبطين ولا معوقين:
قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير .
كلمة خير لا يخرجونها ، محرومون من الكلمة الطيبة،
أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم .
مساكين محرومون من الأجر الذين لا يدركون كيف تسير المجتمعات وكيف تتغير الأمم.
يا أيها الإخوة
يا أيها الأحبة كونوا لسان صدق للجهاد ولا تعوقوا ولا تعطلوا ولا تثبطوا.
وبعض الناس يقولون: أنا بدل أن أقوم مع هذا الشعب الجاهل أنا ذاهب إلى بلادي وأصلحها ولا يمكن أن يقوم الحكم الإسلامي في أفغانستان على يد هؤلاء البداة الجبليين الأميين .
ويسأل الواحد : هل تظن أن دولة إسلامية ستكون في أفغانستان؟ فقلت له: أين طار لبك ؟ أم أين ذهب عقلك؟ حافظ أسد والقذافي يحكمون دولا وهم لا يحملون إلا التوجيهي أو معهم الثانوية العامة..! سياف وحكمتيار ورباني وخالص لا يستطيعون حكم شعب حكموه في أشد ساعات الحرج وأحلك ساعات الظلام!!؟ أين أنت؟
إذا كان هؤلاء الجاهليون الذين لا يؤيدهم الله استطاعوا أن يحكموا شعوبهم، أفلا يستطيع هؤلاء المسلمون الذين انتزعوا قيادتهم وإعجابهم من خلال خوض الدماء ومن خلال تخويضهم في لب الصناديد وفي ماء رقابهم وفي نجيع قلوبهم أين أنت؟
العالم الإسلامي ملئ بالطاقات عندما يمسكون الحكم ينادون وخلال سنتين من خلال وزارة الإعلام ووزارة الأوقاف والصحف والمجلات يبنون شعبا أكثر ثقافة بالإسلام من أي شعب من شعوب الأرض كلها،
ولذلك الإسلام- إن شاء الله- قادم والإسلام سينتصر وأنتم كونوا لسان صدق لإخوانكم الذين فسحوا لكم المجال وفتحوا لكم باب عبادة الجهاد وفريضة القتال وقد لم الله جمعكم لتكونوا طلائع بعث لأممكم :
إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين .
فالله عزوجل يكتب لكم أجر كل مسلم في الأرض ممن تأثر بكم ممن سبقتموه على هذا الطريق فلا تضيعوا أجوركم .
والشيء الثالث: أنتم هنا جئتم لخدمة هذا الجهاد الإسلامي في أفغانستان فلا تشتغلوا بغيره .
اشتغلوا بخدمة الجهاد.. اشتغلوا بعبادة رب العالمين من خلال هذا الجهاد وإياكم أن تحمل قلوبكم على بعضكم البعض.
وهذا اليوم يوم عيد وهو يوم التصافي ويوم التسامح ويوم المحبة ويوم المودة فأقبلوا على بعضكم وتناسوا الضغائن إذا كانت موجودة إن كان قد زرعها الشيطان في قلوبكم .
وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون .
والسنة كذلك في مثل هذا اليوم أن تضحوا الأضاحي بعد الصلاة وفي النهار ولا تضحوا في الليل- يبدأ الذبح بعد الصلاة.
ومن المستحسن أن تأكلوا ثلثها وتتصدقوا بثلثها وتهدوا لأصدقائكم وأحبائكم من الأغنياء ولو كانوا أغنياء-ثلث من أرحامكم.
وكذلك تتصدقون على الفقراء بالثلث الثالث وكلما زادت الصدقة كلما كان لكم فضل وأجر عند الله رب العالمين.
وأما غدا فيبدأ الذبح بعد صلاة الفجر ولا تنسوا التهليل والتكبير في هذه الأيام كما قال (صلى الله عليه وسلم) عن أيام التشريق انها أيام أكل وشرب وذكر.
ولا تنسوا التكبير بعد كل صلاة سواء كنتم منفردين أو كنتم جماعة ، والنساء كذلك يكبرن- إن كن في الجماعة- ولكن لا يرفعن أصواتهن .

وكذلك أيها الإخوة لا تنسوا زيارة بعضكم بعضا ، وحاول زيارة من استطعت من إخوانك حتى تدخل السرور على قلوب المسلمين .
ولا تنسوا المخيمات التي حولكم ، ومن سنة الرسول(صلى الله عليه وسلم) أن يصافح بعضكم بعضا في هذا اليوم كما كان الصحابة يفعلون ويقولون لبعضهم البعض، يتقبل الله منا ومنكم عبادتكم وجهادكم ورباطكم وإعدادكم وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
اللهم مكن للمؤمنين في الأرض ، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى ، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.
اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم واهدهم سبل السلام .
اللهم لا تمر هذا العام إلا ونحن نرى رايات النصر في كل أفغانستان، اللهم اشرح صدور المؤمنين وفرح قلوب الموحدين برؤية راية التوحيد عالية خفاقة فوق أرض أفغانستان وبلاد الإسلام.
اللهم انصر المجاهدين في المسجد الأقصى وفي فلسطين وفي الأرض المباركة وفي لبنان وفي الفلبين وفي بورما وفي تشاد وفي أرتيريا وفي الصومال وفي اليمن وفي كل مكان تشهر فيه السيوف ابتغاء مرضاتك ومن أجل ثوابك.
اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .
اللهم ارفع راية الإسلام وحكم دولة القرآن واجعلنا من جنود القرآن.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الفصل الثانية

من الدعوة إلى الدولة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:
فقد مضت ثلاثة عشر عاما كاملة منذ أطلقت الحركة الإسلامية أول رصاصة في وجه نظام داود سنة(1965) حتى الآن.
ولقد جاءت روسيا بداود لتصفية الحركة الإسلامية، فكتب الله أن تهزم روسيا ويسحق عملاؤها.
وكانت نقلة واسعة خطتها الحركة الإسلامية عبر مسيرة المعاناة تجرعت فيها الحركة من المرارة وتكبدت من الآلام، وتقلبت فى أتون ملتهب من المآسي ما شابت له النواصي.
وخلال هذه المحن نضجت نفوس الذين عاشوا الأحداث، والنضج النفسي والصفاء الروحي وإشراقة القلب تكون ثمرة طبيعية ونتيجة منطقية يهديها الله عزوجل للصابرين، وهذه بركة الصبر:
إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين يوسف/90.
وخلال هذه الطريق المريرة الوعرة التي تجشم الإخوة مشقة اجتيازها بلغت الحركة عموديا-من حيث البناء الذاتي- شأوا بعيدا، وكذلك فإن الانتشار الأفقي بين الناس كان كبيرا جدا.
أما من حيث الارتقاء الروحي والربانية في الحياة فإنك تلمسها من خلال مواقف أفرادها وقادتها أمام الأعاصير العالمية الهوجاء التي تريد أن تعصف بهذه الحركة التي لا زالت ومنذ أول يوم تمسك بزمام التوجيه وعجلة القيادة، فقد وقف القادة مواقف سامقة أمام دهاقين السياسة العالمية وصانعي قرارات الأمم، هذه المواقف تعيد ألى أذهاننا سيرة السلف وتحيي في أعماقنا قصص عبد الله بن حذاقة السهمي أمام قيصر وربعي بن عامر في ديوان رستم يوم أن اقتحم بفرسه داخل الإيوان تطأ سنابك فرسه طنافس رستم والزرابي ويربطه بواحدة من نمارقه.
وهذا الاستعلاء الإيماني الذي تمثل شامخا في مواجهة ساسة الدنيا وعلى رأسهم ريغان لم يكن لينتج من فراغ أو يربى من خلال صفحات الكتب وخطب المنابر.
لقد كان هذا الاستعلاء ثمرة مباركة للصبر الطويل عبر المعاناة المريرة الأليمة.

النقلة الواسعة

لقد كان البون شاسعا بين تلك الأيام التي كان يرسم فيها المهندس حبيب الرحمن الشهيد- الأمين العام للحركة- الكلاشنكوف على الأوراق ثم يشرحه في أعماق الغرف الظلماء للذين يربيهم على حب الجهاد وبين هذه الأيام التي يلعب فيها الأطفال بالقاذف الصاروخي(آر.بي.جي) الذي يحطم الدبابة.
والحركة الإسلامية وهي تعلن قرارها بالمواجهة المسلحة في وجه داود لم يكن بوسعها يومئذ أن تتملى في خيالها مجرد تصور هذه القمة السامعة التي بلغتها بالجهاد المبارك، فلم يكن لديها من بين أبنائها كلهم رجل يستطيع استعمال القاذف سوى أحمد شاه مسعود، والآن أصبح استعمال القاذف هذا من هوايات الغلمان الذين لم يبلغوا الحنث بعد.

القرار التاريخي

لقد كان قرار المواجهة المسلحة لداود خارقا لتفكير الإنسان العادي، خاصة وأن القرار قد صدر من ثلاثين شابا قد التفوا حول برهان الدين رباني وحكمت يار في بيشاور بعد نجاة هؤلاء الشباب من قبضة داود الحديدية التي كانت ترتجف لذكرها أوصال أفغانستان وتحسب لها ألف حساب.
ولم يكن هذا القرار ليصدر لولا وجود حركة إسلامية انبثق من خلالها هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم وكانوا قد تلقوا قسطا من التربية على أيدي أساتذتها ومشايخها ومربيها.

المورد العذب

ولقد نضجت الحركة الإسلامية الأفغانية على محك الشدة حتى أصبحت مدرسة فذة قائمة بذاتها ومنهلا عذبا لا بد أن يرده كل الذين يحاولون إنشاء المجتمع المسلم من جديد.
ولقد أعطت أعماقا وأبعادا لكثير من المعاني القرآنية والمصطلحات النبوية الكريمة في أذهان الجيل.

ولا بد لأبناء الحركة الإسلامية العالمية أن يقفوا طويلا أمام هذا المعين الثر الذي فجرته الدماء والأحداث فوق أرض أفغانستان فينهلوا منه، وذلك لأن الدعوة الإسلامية في أفغانستان أصبحت الآن فريدة وأعطت المصطلحات الحركية أعماقا وأبعادا.
1- فلقد كان معنى الصبر قبل هذا الجهاد المبارك المشرف ينصرف إلى احتساب سياط الجلادين وهي تلهب ظهور الدعاة ، وما كنا نفهم من معاني الصبر في القرآن الكريم سوى الصبر على ظلم الطغاة وزبانيتهم وجلاديهم.
أما الآن
فالصبر قد أخذ بعدا أكبر ورقعة أوسع فهو يعنى:
حبس النفس على الرباط في مواجهة أعداء الله، والصبر على الرباط في قمم الجبال وبين الغابات والأدغال ولأشهر متطاولة تمتد إلى سنوات عمل شاق على النفوس لأن النفوس تألف الحياة بين الأحبة وفوق الأرض التي درج الإنسان عليها وحبا بين رباها ونجادها.
والنفس تستوحش من الغربة.. غربة عن الأهل والجيران واللغة واللهجات التي تربى عليها، فإذا أضيف إلى هذا كله الجو الرهيب الذي يسيطر غالبا على ثغور الرباط وقلة الزاد وجفاف العيش وشظف الحياة، ومجموع هذا كله يكون جوا قاتما كئيبا ثقيلا على النفس.
وهذا الجو لا يخفف ثقله ولا يجلو حزنه سوى التعويض الرباني للقلوب بما يسبغ الله عليها من فرح ومسرة وأنس وسكينة:
؛ عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم« .. صحيح.
فالهم والغم أمران ملازمان للرباط لا يفارقان إلا القلوب المرتبطة بالله الموصولة بحبله العائذة بجلاله.
والحياة في المدن أمر تعشقه النفوس ، والعزلة قضية تأنفها النفوس وتكرهها.
يقول رب العزة على لسان يوسف عليه السلام:
وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو .
وفي الحديث الصحيح:
؛ من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن«.
وترك الرباط أمر طوعي اختياري ومن هنا تزداد مشقته على النفوس بخلاف الصبر في أعماق السجون فإنه أمر جبري رغم الأنوف، ومن هنا ترضاه النفوس مع الزمن كرها وقبولا بالواقع الذي لا تستطيع دفعه.
ولذا فإن شيخ الإسلام ابن تيمية يشير إلى أن صبر يوسف عليه السلام في بيت العزيز كان أعظم أجرا من صبره في السجن.. إلا في الفترة الأخيرة التي أرسل إليه الملك فرد على الرسول:
ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم .
وهذا موقف سامق رفيع أكبره عليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه: ؛ رحم الله أخي يوسف لو جاءني الرسول لأجبت ولكنه قال: ارجع إلى ربك فاسأله« .. صحيح.
2- ومن القضايا البارزة في الدعوة الإسلامية الأفغانية أنها منذ أن رأت النور وتكونت نواتها حتى الآن وهي تدفع التضحيات ولم تقطف من ثمار عرقها ولم تخرف-تحصد- من نتاج بذارها شيئا.
ولذا فقد بقيت تستدر عطف الشعب كله، وتستحوذ على إعجابهم وتنال احترامهم وإكبارهم ، ولا زال اسم الدعوة أو الحركة أبرز عامل من عوامل التعديل وأهم مؤهل للثقة.
ولذا بقي مصعب بن عمير معلما بارزا في دنيا الصحابة ، وبقيت ذكرياته تستجيش أعمق العواطف وتستنهل العيون بالعبرات ، ولذا فعندما وضع طعام شهي أمام عبد الرحمن بن عوف استعبر-بكى- وقام وذكر مصعبا.
يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: هاجرنا مع رسول (الله صلى الله عليه وسلم) نلتمس وجه الله تعالى فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه ، ومنا من أينعت- نضجت- له ثمرته فهو يهدبها- يقطفها- متفق عليه.
والآن :
لقد استشهد أكثر من تسعين بالمائة من أبناء الحركة الإسلامية ولم يأخذوا من الدنيا شيئا بعد.
3- إن عمر الحركة الإسلامية الأفغانية صغير جدا، ولم يتغلغلوا في مناصب الدولة ولم يرتقوا في سلم وظائفها، وكانت أكبر وظيفة لديهم عمادة كلية الشريعة بيد غلام محمد نيازي-رحمه الله- ولذا فلم يكن لديهم مناصب كبرى يمكن أن يساوموا بها على المبادىء نفسها اتباعا لقاعدة: اختيار أهون الشرين- إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضررا بارتكاب أخفهما-.
ولذا بقيت المبادىء واضحة ناصعة وما اعتراها لبس ولا غموض ، ولم يعش الدعاة حياة متناقضة بين مبادىء معلنة وبين مواقف عملية تمليها عليهم مصلحة الدعوة محافظة على مكاسب بين أيدي الدعاة قد تتعرض للزلزلة فيما لو وقف الدعاة وقفة المباينة والبراء من النظام القائم.
ولم يعش جمهور المسلمين حيرة قاتلة إزاء التناقض في حياة بعض الدعاة بين نهج مرسوم وواقع عملي يومي، وبقيت المبادىء المعلنة مشرقة لأن السلوك الذي يحياه الدعاة كان الصورة الصادقة والترجمة العملية للكلمات والشعارات والمبادىء.
4- إن الجهاد الإسلامي الذي خاضت غماره الدعوة الإسلامية وكانت رأس الحربة فيه، وقذفت فيه بأفلاذ أكبادها وضحت فيه بأغلى ما تملك من أبنائها أدى إلى إنضاج نفوس شبابها الباقين على قيد الحياة وتصفية أرواحهم وإلى صلابة عودهم.
ولذا فإنك تجد فرقا هائلا بين نفسية هؤلاء الشباب الذين تتردد أسماؤهم على جميع الشفاه كسياف وحكمت يار ورباني وخالص، أقول : هنالك فرق كبير بين نفسية هؤلاء الدعاة عام (1975) ، ونفسيتهم

عام (1988) بعد أن أمضوا مرحلة تساوي المرحلة المكية تماما-ثلاثة عشر عاما- في أتون القتال وبين حجري الرحى، وأصبحت كبرى المشاكل في أعينهم جد صغيرة.
إذا اعتاد الفتى خوض المنايا
فأهون ما يمر به الوحول
5- إن المعركة التي عركت أبناء الحركة الإسلامية اضطرتهم أن يعيشوا مع جميع طبقات الشعب:
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير .. فاطر/ 32.
وذلك لأن الشعب كله اخترط سيوفه منافحا عن عرضه ومكافحا عن دينه وكل واحد يقول:
فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي
والبر أوسع والدنيا لمن غلبا
واضطرارهم للحياة مع جميع طبقات الناس من مفرط ومقصر ومخطيء ومتعثر وصادق وملتزم أعطاهم من التجدبة والخبرة والحنكة من خلال المعاناة المريرة في رفع المستويات ومحاولة ايجاد التناسق بين هذه المستويات المتباينة التي تعيش في قاعدة واحدة وتواجه عدوا واحدا خلال عشر سنوات متواصلة في حياة واحدة تحت ظل سقف واحد تجمعهم مائدة واحدة ويتحركون حركة واحدة كأنهم جسد واحد.. بينما الدعوات الإسلامية في كثير من أقطار العالم الإسلامي تعيش في مجتمعات خاصة نظيفة لا تلتقي مع سائر طبقات الناس الإيمانية إلا في المحافل والندوات والخطب والاجتماعات.
6- والمشاكل التي كانت تواجه القادة عبر هذه السنين أعطتهم مراسا للحكم وهذه الممارسة للحكم والدربة على القيادة السياسية والعسكرية لم تكن خلال صفحات الكتب فوق مقاعد الدراسة في كليات الإدارة .. بل كانت خبرة عملية أورثت نضجا سياسيا وعمقا في النظر فرضتها-بقدر الله- الأحداث الضخمة والعقبات الشاقة التي تواجههم على صعيد الواقع.
ولذا فلو أخذنا كمثال أحمد شاه مسعود أو المهندس بشير أو الشيخ جلال الدين .. كل واحد من هؤلاء مفروض عليه أن يجد حلا للمشاكل الاجتماعية ولقضايا الجفاف التي تعض المنضقة بنابها، وعليه أن يوجد حلا لقضايا الجراح التي لا تكف عن النزيف ولمشاكل الأيتام والأرامل، ولا بد أن يبحث عن وسيلة لإيجاد مخرج لمئات الألوف من الأولاد الذين لا يعرفون القراءة، فلا جرم أنه مضطر لفتح بعض المدارس ولو في كهوف الجبال أو تحت الشجر، فكل واحد منهم إنما هو حكومة قائمة بذاتها.. فهو رئيس الوزراء ، وفي نفس الوقت فهو وزير الصحة والتربية والتعليم والدفاع والشؤون الاجتماعية والزراعة والإعلام والإرشاد.
وقد سألني بعضهم:
أو تظن أن الأفغان يستطيعون إقامة دولة إسلامية بأنفسهم؟
والجواب كما مر:
إن القادة قد تمرسوا على الحكم خلال فترة الحياة بين فكي الموت، وإذا كان بعض العسكر قد وصلوا إلى الحكم من خلال البيان الأول في الدول العسكرية الثورية دون أن يعرف عنه سابقة حكم ولا صبغة إسلامية ولا نشأة حركية ولا ذكاء ملموس ولا خلق آسر أخاذ.
أفلا يستطيع هؤلاء القادة الحكم؟
وبعد هذه المسيرة الطويلة من تربية عميقة نظيفة في ظلال القرآن إلى فارس يمتطي صهوات العتاق المذاكي إلى قائد يفقد أبناءه الذين تربوا على يديه الواحد تلو الآخر يتجرع الغصص ويتلوى بالآلام ويدفن قلبه مع كل شهيد.
ناموس وقانون إنشاء المجتمع المسلم
إن القانون الإلهي لإنشاء دين الله في الأرض وإقامة المجتمع الإسلامي يكون في خطوات:
1- أولها قيام رجل يدعو إلى التوحيد- الألوهية والربوبية والأسماء والصفات- ثم يتجمع الناس حوله.
2- تقوم الجاهلية في وجه هذا المصلح تدافع عن مصالحها بكل ما أوتيت من قوة وتلقي بخيلها ورجلها وتدفع بثقلها لإجهاض هذا العمل المبارك ، وفي الطريق يسقط من يسقط ويثبت الله من يثبت يتحمل الإيذاء والاضطهاد والتشريد والسجن.
3- تقوم الدعوة الإسلامية بدور الصاعق الذي يفجر طاقات الشعب ويقوم جهاد طويل تكون الدعوة فيه موجها وقائدا ومشعلا للفتيل ويقدم الشعب المسلم الوقود لهذه المعركة الطاحنة الطويلة.
4- وبعد الجهاد الطويل تفقد الحركة الإسلامية معظم أبنائها ويبقى قسم منها يضن الله بهم عن الموت وهؤلاء هم الذين يضع الله بين أيديهم مقاليد الحكم بعد أن أصبحوا أمناء على الدماء والأعرض والأموال.
هكذا قام هذا الدين أول مرة وهكذا يقوم كل مرة ، ولا يجوز أبدا لأبناء الدعوة الإسلامية أن يزهدوا في الحكم بعد النصر فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار.. منهم الخليفة ومنهم الوزراء ومنهم مجلس الشورى ومنهم القادة والقضاة وأمراء الولايات وخزنة بيت المال.
ففي صحيح مسلم خطب عتبة بن غزوان قائلا:
(لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا فالتقطت بردة-شملة مخططة- فشققتها بيني وبين سعد بن مالك-بن أبي وقاص- فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح منا أحد إلا أميرا على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا).
وإن شاء الله فنحن على أبواب دولة إسلامية قامت على رؤوس الرماح وإزاء رؤيتها ننشد وحق لنا أن ننشد:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي
الحكم للسيف ليس الحكم للقلم
ونخبت خاشعين للذكر الحكيم:
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .. الأعراف 128.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.
رحل رجل المرحلة
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:
حول المذياع وأمام كهف من الكهوف في منطقة كابل والطيران لا يكاد يهدأ ليلا أو نهارا هلعا من المجاهدين وفزعا من جحافلهم التي تحيط بكابل إحاطة السوار بالمعصم وأبو البراء يبحث عن إذاعة بلغة عربية للاستماع إلى آخر التطورات ، وإذا بإذاعة بالفارسية ، فأقبل القائد محمد صديق كري القائد في (خورد كابل) فصاح وقد التقط بعض الكلمات: قتل ضياء الحق.
فنزلت الكلمات كالصاعقة على قلوبنا، ولكن بقيت خيوط أمل أن الخبر لم يكن يقينا وودنا والله لو لم يصدق الخبر، وعندما أيقنا بالنبأ قلت: اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرا منه.
وسرى النبأ بين المجاهدين كالنعي في يوم عرس والمجاهدون أكثر من غيرهم يعلمون من هو ضياء الحق فلم يكن ضياء في حياتهم رئيسا ولا مضيفا ولا مجاهدا فحسب ، ولكنه كان خلا وفيا وأخا حميما وقطب الرحى في أعظم قضية إسلامية ملأت الدنيا وشغلت الناس.
ولا أبالغ إن قلت : إن حزن بعض القادة عليه حزن من ذبح وليدها في حجرها.
وقبل أن أبدأ أود أن أقول: إن مقالتي هذه للذين عاشوا هذه المرحلة الخطيرة بآلامها وآمالها وبحرارتها ومرارتها وحلاوتها.. للذين احترقت أعصابهم وهي تحاول شق طريق تداعت عليه أمواج البلاد من كل الأنحاء.. أكتبها للذين عاشوا حياة جهادية عملية يدركون أكثر من غيرهم صعوبة اجتياز العقبات بين فكي الموت ووعورة المسير في طريق مرير وأحجار الرحى تطحن حياتهم وأعصابهم وشرايينهم..
أكتبها للذين تقلبوا بين أهوال الحرب وتكبدوا مشقة الحياة بين سماء تمطر حمما وأرض تفجر براكين وجبال تنهلهم بوابل رصاصها وآذان تصك بقعقعة الأعنة وصليل السلاح وضج العتاق المذاكي-الخيول الأصيلة- وأعشيت أبصارهم بوهج المشرفية-السيوف- وبريق العوالي-الرماح- وتسطل-الغبار- النزال ونقع القتال.
أكتبها لهؤلاء وليس للذين يعيشون في أبراجهم العاجية قد نسجوا من خيالهم قصورا وعملوا من سراب الصحافة بحورا..
إن هؤلاء لا يمكن أن يدركوا ما أقول.. ولا يعرف الشوق إلا من يكابده.
وأنا لا أريد أن أطرق جوانب حياة ضياء الحق السياسية ومواقفه تجاه الأحداث الدولية، فهذه قد تدخلنا في متاهة يتصيد فيها أخطاءنا أولئك الذين لا يحسبون الخير إلا ما تجمع في صدورهم من غل وما يكنونه بين جوانحهم من حقد على كثير ممن يحاولون أن يغرسوا القيم في الأرض ويحيوا المثل في عالم الناس .. إن القضية في أذهان هؤلاء منحسمة أن ضياء عميل للمخابرات الأمريكية.
سأكتب عن ضياء الحق الرجل الذي عاش قضية الجهاد الأفغاني منذ أوائل أيامها حتى لقي الله إثر تحطم الطائرة به.
فضياء الحق رجل كأن الله عزوجل أعده لهذه المرحلة الحساسة الخطيرة.
وهو كرجل عسكري أدرك بثاقب نظره أبعاد الغزو الروسي لأفغانستان واستقر في كيانه ووقر في جنانه أن باكستان ستكون لقمة سائغة يزدردها- يبتلعها- الدب الروسي فيما لو تهاوى هذا الطود الشامخ، وانهار هذا السد السامق الذي تجسد في الجهاد الأفغاني أحداثا أغرب من الأساطير وأبعد من الخيال، فكانت هذه الوقفة المشرفة التي استمرت عشر سنوات متواصلة عاشها رجل المرحلة بأعصابه وقلبه ونفسه ونبضاته وحركاته وسكناته.
كان يدرك أهمية الجهاد ومعنى الهجرة ولا غرو في ذلك فقد قال عن نفسه ذات مرة والمعارضة تطل برؤوسها من جحورها: إنني لن أترك الجهاد الأفغاني لأناس لا يعلمون معنى الهجرة، فلقد عشت الهجرة بنفسي، فأنا مهاجر وسرت مع أمي على الأقدام مسيرة مائة ميل عند قيام باكستان.
وكان يردد : لقد شهد هذا القرن معجزتين أذهلتا عقول البشرية..قيام باكستان كدولة من لا شيء، وصمود الشعب الأفغاني المسلم أمام الدب الروسي حتى أثخنه بالجراح.
والذين لا يعرفون نسيج دولة باكستان ولا طبيعة أهلها وليس لديهم صورة جلية عن الركام الهائل الذي ورثه ضياء الحق عمن سبقوه فوق عرش باكستان ممن لا يثقون بقدرة الإسلام على مواكبة الحياة المعاصرة.. إن الذين لا يعلمون هذا لا يمكن أن يدركوا قيمة هذا الرجل الذي كان نعمة على باكستان بعد ثلاثين عاما من قيامها وتأسيسها.
لقد استلم باكستان حطاما وركاما يتناوله أناس لا يعيشون آلام هذا الشعب بعد أن أطبق العالم على فصل شرق باكستان.
إن كثيرا من الناس لا يدركون أن أصحاب المناصب العليا وذوي المراتب الذين يمسكون بأيديهم دفة القيادة وعجلة التوجيه الباكستانية يعيشون في واقع حياتهم انفصاما نكدا بين الاسلام كنظام حياة وبين بعض الشعائر التي يؤدونها كمراسم في المحافل والأعياد، وكثير منهم كانوا لا يفتأون يرددون صباح مساء أن ضياء الحق يعيش في عالم الأوهام وفي دنيا الأحلام إذا كان جادا في تطبيق الإسلام.
دولة باكستان الفيدرالية
كثير من الناس لا يعلمون التركيبة المعقدة والتشكيلة العجيبة لدولة باكستان الفيدرالية التي تتكون من أربع ولايات:

(السند) وحاضرتها كراتشي التي لا زالت تطالب بالانفصال عن باكستان والانضمام إلى الهندوس.
(وسرحد) الحدود الشمالية الغربية : وحاضرتها بيشاور وأهلها البشتون ولا زال زعماؤها القوميون يأنفون أن ينسبوا إلى باكستان، ويرون أن هذه المنطقة جزء لا يتجزء عن أفغانستان ، وكثير منهم إذا غضبوا من الدولة يهددون بنسف الجسر الواصل بين بيشاور وإسلام آباد-جسر أتك- .
وفي هذا العام عندما هلك عبد الغفار خان الزعيم القومي البشتوني الشيوعي المعروف أوصى وهو على فراش الموت أن يكفن بالثوب الأحمر وأن لا يدفن في أرض الأنذال-باكستان- بل لا بد أن يدفن في أرض الأحرار الشيوعية-جلال آباد/ أفغانستان-.
وسارت الجنازة محفوفة بالآلاف من السيارات التي تحمل الرايات الحمراء والممتدة على طول الطريق بين بيشاور وجلال آباد وعشرات الألوف من المصلين الباكستانيين ذوي القبعات الحمر يندبون الفقيد بدموع ساخنة ويسيرون هذه المسيرة وعندما تسألهم يذهلك قولهم: إنه زعيم مسلم.
وأما الاقليم الثالث- بلوشستان- ومركزه (كويتا) والواصل بين أفغانستان وبحر العرب والخليج فحدث عنه يا صاح ولا حرج.
إن أكثر من 95 % من أبناء المدارس الحكومية يهتفون للشيوعية ويحيون الروس ويحيون الأعياد في ذكرى دخول الروس والانقلاب الشيوعي ولا نريد أن تزكم أنفك بأخبار جامعة بلوشستان التي ترفع فوقها الرايات الحمراء.
وأما البنجاب ومركزه (لاهور) : فقسم من أهلها يميلون إلى ضياء الحق للنوازع القومية والدوافع العرقية، ولا زال بعض ساستها يكتبون في صحفهم أن على باكستان أن تفتح الطريق أمام الروس ليركزوا راياتهم فوق بحور البترول العربية على شواطيء الخليج.
هذه الدولة هي التي قادها ضياء الحق في أحرج مراحل تاريخها، وفي داخلها سبعة عشر حزبا من أحزاب المعارضة قد نذروا أنفسهم ألا يدعوا له فرصة لالتقاط أنفاسه ويقضوا عليه مضجعه ويؤرقوا عديه أجفانه، ولا تكاد تستثني من هذه الأحزاب المعارضة سوى ثلاثة ممن لا يرفعون عقيرتهم-أصواتهم- مطالبين بطرد المهاجرين الأفغان.. أما بقيتهم فلا يدعون فرصة تمر إلا ويفتعلون الأحداث التي يبررون بها ضرورة التخلي عن قضية القرن الأفغانية ، وهو أمامهم صامد كالطود الشامخ ثابت ثبوتا كالشم الرواسي، ولا يدع فرصة إلا ويصرح قائلا: لن أتخلى عن مسؤوليتي كمسلم تجاه هذا الجهاد المشرف حتى أودع آخر مهاجر على باب (طورخم) في ممر خيبر -معبر أفغانستان- رافع الرأس معززا مكرما عائدا إلى أفغانستان-
كان الدكتور حسين حامد مدير الجامعة الإسلامية على صلة حميمة بضياء الحق وكثيرا ما كان يحدثني بانبهاره وإعجابه بهذا الرجل كإنسان مسلم.
وقد حدثني إحسان إلهي ظهير-رحمه الله- وقد كان مستشارا لضياء الحق ثم انفصمت بينهما عرئ المحبة فشهد لي أثناء الجفوة بينه وبين ضياء الحق أن الرئيس كان يقوم الليل فقال: اتصلت به من لندن الساعة التاسعة غافلا عن الفارق الزمني إذ كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل بتوقيت باكستان فرد علي السنترال أن الرئيس في الصلاة فانتظر حتى يختم الشفع ويرد عليك.
وقد التقيت بالرئيس في عدة ندوات وزرته في بيته وسمعت له عن كثب وكان الطابع الذي يميزه دائما البساطة والوضوح والاستعلاء الإيماني مع التواضع.
كان لا يني أن يذكر في كل خطاب عظمة هذا الدين وتقصير المسلمين إزاءه وتقاعسهم تجاهه فكانت كلماته تنبثق من الأعماق ولذا فإنها تستقر في الأعماق.. فهذا الانطباع الذي كان يتركه في نفسي بعد كل مرة.
يتكلم كأنه جندي في الميدان أو قائد من قادات الأفغان.. سمعته ذات مرة يقول: تحدثت مع السفير الروسي فقلت له: إنكم غزوتم الفضاء وجاوزتم الجوزاء ، ولكن يبدو أنكم لم تدرسوا التاريخ، فتساءل السفير الروسي مستغربا: ومن لك بهذا الإدعاء؟ فقلت: لو درستم التاريخ لما أخطأتم هذا الخطأ التاريخي بمواجهة الشعب الأفغاني.
الذي يروي لنا التاريخ عنه أنه قاهر الغزاة ومحطم العتاة).
وعندما أعلنت روسيا عن عزمها على الانسحاب من أفغانستان بدأت بعض الألسنة تلهج بالثناء على غورباتشوف فوقف ضياء الحق ومن خلال أجهزة البث التي تنقل للعالم يقول:
(إن مثل روسيا في أفغانستان كمثل لص دخل بيتا فقتل أهله وأحرق متاعه ثم خرج فليت شعري أي شكر يستحقه هذا اللص؟
ثم قال: نحن خير أمة أنزل الله لنا خير دين وبعث لنا سيد المرسلين(صلى الله عليه وسلم) حمل لواء الجهاد فأعز الله دينه وأنقذ به الإنسانية ثم تخلينا عن هذا اللواء وفرطنا بهذا الدين فعدنا في ذيل القافلة وأراد الله عزوجل أن يضرب مثالا حيا لهذه الأمة بأن ساق لها الجهاد الأفغاني .
ومواجهة أضعف الشعوب الإسلامية لقوة عظمى تعتبر من أشرس قوى الأرض وأعتاها ونصره الله لدينه وإيمانه ليرينا أن ديننا هو سبيل عزتنا).
وكم كان يؤكد لقادة الجهاد الأفغاني أن موقفي بجانبكم واجب يمليه علي ديني ويفرضه علي خالقي، وكلما اشتدت الخطوب وكشرت الدنيا عن أنيابها وتنكرت لهذا الجهاد ينبري ضياء الحق ليؤكد لهم أن موقفه لن يتزلزل وصموده بجانبهم لا يتزعزع.
ومن تكن العلياء همة نفسه
فكل الذي يلقاه فيها محبب
وقفت الدنيا كلها هذا العام وهي ترتعد مترقبة وصول المجاهدين إلى سدة الحكم وأصبح إيقاف الجهاد الأفغاني وإيصاد أبوابه شغل الدول الشاغل وحديثهم الدائم، وألقت البشرية بكلكلها وأطبقت بثقلها على ضياء الحق ليوقع المعاهدة-

ووقف وحيدا أمام العالم وحكومته تستحثه الخطى لتوقيع المعاهدة وهو يدفعهم بكل ما أوتي من قوة ويلقي بالعراقيل أمام نقل هذه المعاهدة إلى حيز التنفيذ ثم قال أخيرا: (لقد وقعت المعاهدة عندما تخلت عني الأرض كلها وتلفت حولي فلك أجد صديقا ولا عدوا).

وعندما رأى أن حكومته جادة في إغلاق الحدود وفي محاولة تنفيذ المعاهدة بحذافيرها دثرها بقدمه وأمسك الحكم بقبضته الحديدية وفاء بعهده -لتنطمس في عالم النسيان- الذي قطعه على نفسه وأشهد عليه المسلمين ما لا يحصى من المرات بالوقوف حارسا لقلعة هذا الجهاد العظيم.

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا

وموج المنايا حولها متلاطم

وكنت تحس أنه ينطلق في تفسيره للأحداث منطلقا إسلاميا، فبعد توقيع باكستان للمعاهدة حدث انفجار مخزن السلاح المروع في إسلام آباد، وإذا به يقول: هذا إنذار من رب العالمين وانتقام منا لتوقيعنا المعاهدة.

وكنت تراه وفي غمرة الأحداث الطاحنة لا تفارقه السكينة ولا يزايله الاطمئنان وكأن هذه الأحداث المزلزلة في كوكب آخر فكأن الطمأنينة جزء من كيانه وركن من أركانه ولسان حاله يقول:

تخفر عندي همتي كل مطلب

ويقصر في عيني المدى المتطاول

ومن يبغ ما أبغي من المجد والعلا

تساوى المحابي عنده والمقاتل

تفسير هذه المواقف

والذي يعرف حياة ضياء الحق الخاصة لا يستغرب هذه المواقف الإيمانية، فهو معروف بمواظبته على الصلاة وقد شهد له أكثر من واحد أنه يقوم الليل، وشهد لي أخ عزيز-أيمن- عن فضل ربي -رجل لصيق بضياء الحق أن ضياء الحق حتى الآن يقوم في الصباح على وضوء أمه بنفسه، أضف إلى هذا أنه معروف بنظافة الفم من المدام-الخمر- وبنظافة الفرج.

ويعرفه أهل الحرمين بين الناسكين المعتكفين في العشر الأواخر من رمضان، ويشاء الله أن تتمزق جثة ضياء الحق ولم يستطيعوا أن يتبينوا جثته إلا بمصحفه الذي وجدوه معه دون أن يحترق.

وإني لأعلم الضغوط التي تعرض لها ضياء الحق بسببي خاصة لإخراجي من باكستان إذ أن تجمع الشباب المجاهد العربي على ساحة الجهاد الأفغاني أصبح مصدر قلق كبير لكثير من الدوائر الدبلوماسية العربية والغربية على السواء ، وأصبح هم هذه الدوائر تفريق الجمع الجهادي وتشتيته وتمزيق شمله، ولكن ضياء الحق كان يضرب صفحا عن هذه المحاولات ويغض الطرف عن هذا التجمع لأنه يدرك أهمية العرب للجهاد الإسلامي الأفغاني.

الضغوط الدبلوماسية

وعندما اقتربت ثمار الجهاد من القطاف وحاولت الدوائر العالمية جس نبض قادة الجهاد وعجمت أعوادهم فوجدتها صلبة المكسر وأنهم أكبر من الاحتواء والتذويب والتمييع واجه الدبلوماسيون الغربيون والأمريكان بالذات من الاهمال والسخرية والشدة من القادة مما جعلهم يلجأون إلى رئيس الوزراء الباكستاني-جونيجو- ليتولى بنفسه تنفيذ المؤامرة ، ولكن ضياء الحق لم يهن ولم تكل له عزيمة ولم تفل له إرادة وكنت أتوقع لضياء الحق إحدى النتيجتين..إما الإنقلاب العسكري عليه وإما الاغتيال ، وكنت أستبعد التوقع الأول لأن ضياء الحق قوي في صف الجيش ومحبوب لدى كثير من ضباطه وأفراده.

وبعد أن أقصى الحكومة السياسية وألقى بقبضته على مقاليد الأمور لم يبق إلا الاحتمال الثاني.

لجنة الاغتيال

حدثني أحد القادة قائلا: حدثني أحد المقربين للرئيس ضياء الحق عن ضياء الحق قال: لقد تشكلت لجنة مكونة من جنرالين يهوديين وجنرالين روسيين وأربعة جنرالات من الهنود وبرعاية غاندي لتصفية ضياء الحق وقادة الجهاد الأفغاني ثم عقب ضياء الحق قائلا:

(لا أدري أينا يسبق إلى الله! أو تعجل لي منيتي أم تدرك المنية إخواني القادة الأفغان قبلي؟).. فسبق ضياء الحق إلى ربه.

وأنا أظن أن الدوائر الكبرى الغربية والشرقية على السواء كانت منشرحة الصدر ومرتاحة كل الارتياح برحيل ضياء الحق- الرجل القوي- الذي كان يقف أمام كثير من القرارات الدبلوماسية الغربية.

فالمؤامرة لم تنته بعد وسلسلة المحاولات لبقية القادة لا زالت على قائمة الأولويات ، ولكن القدر بيد رب العالمين:

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الموكب المهيب

ولقد كانت وفاة ضياء الحق هزة عميقة للقلوب في أرجاء العالم الإسلامي ، وتداعى الناس من كل مكان لأداء صلاة الغائب عليه وأقيمت الصلاة في الحرمين الشريفين وفي الأزهر الشريف، وأما أهالي باكستان فكأنهم لم يبتلوا بمصيبة من قبل وسارت الأمواج البشرية كأنها زحمة النفرة ليلة الجمع من عرفة إلى المزدلفة ، ولم تشهد باكستان منذ أن أنشئت جنازة كهذه ، والتكبير والتهليل يدوي في أرجاء إسلام آباد.

علو في الحياة وفي الممات

لحق تلك إحدى المعجزات

كأن الناس حولك حين قاموا

وفود بذاك أيام الصلاة

وشق الموكب الحزين طريقه بصعوبة بالغة بين الناس والكل يود لو يشارك بأن يحثو حفنة تراب فوق هذا الجثمان الطاهر الذي بكته القلوب دما.
وفي ساحة المسجد الجميل الذي سهر ضياء الحق بضعة عشر عاما على إنشائه وبين مسجد فيصل والجامعة الإسلامية ووري الجثمان .
أودعته الجماهير قلوبها واستودعت الله دينه وأمانته وأكفهم تضرع إلى الله أن يتقبله ، وأن يبدلهم خيرا منه ، وعيونهم تتساءل حائرة :
من للمحافل والجحافل والسرى
فقدت بفقدك نيرا لا يطلع
ومن اتخذت على الجيوش خليفة
ضاعت ومثلك لا يكاد يضيع
وهكذا وقفنا وحدنا نواجه الدنيا
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. أما بعد:
ففي أول العام الهجري الجديد حيث الاحسان المتصبب من أيدي ذوي السعة على من حولهم من المعوزين المسلمين وحيث ينابيع الخير تتفجر في أعماق النفس البشرية وحيث تشيع أعمال البر حتى تسبغ المجتمع بأسره فتحسبه أسرة واحدة تلفه السكينة سيماه الابتسامة المعبرة عن أعمق مشاعر الاخوة والمودة ،وتعتلج في سويداء القلوب مشاعر الصفاء والصلة والخير ، وتتشابك الاشجان حيث تثور لواعج الاحزان على أولئك الذين تحملوا البلاء والنكباء من أجل غرس راية هذا الدين فوق الجوزاء فتسيل هذه الاحزان أموالا تتدفق من أصحاب الجد نحو مستحقيها في هذا الجو العجيب من الصفاء .. روسيا آخذة بالا نسحاب وكان هذا الحدث أمرا جللا في حياة الأمة المسلمة حيث تعلن أشرس دولة في الارض أنها عاجزة عن مواصلة المعركة مع شعب فقير أعزل .
ولكن في المقابل أرى ارتخاء أيدي الاحسان عن فك الوكاء عن أكياس أموالهم وظن أهل الخير أن القضية قد انتهت وأن المهاجرين في طريق عودتهم وأن المجاهدين قد ألقوا عن كو اهلهم السلاح ، وأن الفرسان قد ترجلوا عن العتاق ، وأناموا البيض في أغمدتها ،وأرخوا من أيديهم أزمة الخيول .
هنا تلفتنا حولنا لنجد صديقا فأعيانا أو عدوا مداجيا مواريا فأعجزنا وصرنا نردد فوق الذرى :
وصرت أشك فيمن اصطفيه
لعلمي أنه بعض الأنام
لا بأس، فان تخلى عنا البشر فرب البشر الذي نجاهد في سبيله لا ينسانا:
وإذا كنت في الزمان وحيدا
فأنا الدر والجمان الفريد
أيها الاخوة المسلمون في أنحا ء الأرض
إن هذا الصيف الذي نستقبل أيامه الأولى لينتظر معارك ما رأى أشد منها في أرجاء أفغانستان من قبل ، وإن الأيام الخالية لنظنها تمهيدا لهذه الأيام المقبلة ، والآن جاء دورالقتال ، وهذه الحدود التي كنا نجد في اجتيازها بالمساعدات مستراحا ومتنفسا ، الآن ضيق الخناق ، وبدأ الاستعداد لايصادها دون وجوهنا ولم يعد أمامنا سوى الشيوعية بأكداس أسلحتها فإما النصر وإما الشهادة .
فإما حياة تسر الصديق
وإما ممات يغيظ العدى
- ولهذا فهذا عام فلسطين وأفغانستان .
-والآن عام سخاء النفوس التي تؤدي إلى استمرار دوي القنابل والمدافع.
-والآن عام البذل والفلاح حتى يستمر صليل السلاح فهل أعد المسلمون برامجا لأهم قضيتين في الارض ؟
(1) هل علم المسلمون أن قضاياالفقر في بلدان المسلمين قد اتسع خرقها على الراقع ، وأنه لا بد من التركيز على عوز المجاهدين وفقر المقاتلين؟
وقد سئل ابن تيمية عن قوم جياع : إذا تركناهم وأمددنا الجهاد مات الجياع ، فأجاب (أمدوا الجهاد وليمت الجياع) ، فكيف إذا كان المجاهدون أنفسهم قوما جياعا؟
(2) إن من أهم أبواب الزكاة هو الجهاد في سبيل الله فكيف إذا كان المجاهد فقيرا مسكينا غارما وابن السبيل ؟ أي يتوفر في المجاهد خمس صفات من أ هل الاستحقاق الثمانية ، فإذا علمنا أنه لم يعد باب إعتاق العبيد (وفي الرقاب) فالمجاهد يستحوذ على خمسة أسباع الصفات الموجبة للزكاة.
فيجب على المسلمين أن ينتبهوا لهذه النسبة من الاستحقاق.
3- يجب على الأمة أن تسد حاجات الجهاد- وهذا إجماع-.
قال القرطبي:
(اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها).
وقال مالك:
(يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم وهذا إجماع أيضا).. القرطبي2/ 242.
فكيف إذا كان الشعب كله مأسورا أو عرضة للأسر؟
4- لقد أفتى العلماء بجواز نقل صدقة الفطر من قطر إلى قطر ، ونقل الزكاة إذا اشتدت الحاجة في القطر البعيد وكان من بين العلماء المعاصرين المفتين: فضيلة الشيخ ابن باز وفضيلة ابن جبرين ، فهلا انتبه المسلمون إلى جمع الزكاة وصدقة الفطر وإرسالها إلى أرض الجهاد لشراء الأرز والطحين؟
5- إن أبواب الخير في الجهاد مشرعة لمن أراد الولوج فهلا جهز المسلم غازيا أو كفل يتيما أو رعى أسرة عالم متفرغ للجهاد؟

6- لقد بلغنا من الإخوة في فلسطين أن القنابل المسيلة للدموع عندما نفذت في إسرائيل جاءتهم قذائف مكتوب عليها صناعة أمريكا وبتاريخ الشهر نفسه- وهذه قرئت على القذائف التي لم تنفجر- فإذا كانت أموالنا نشتري بها سياراتهم توجه رصاصا إلى صدور إخواننا في فلسطين فعلينا أن نقاطع البضائع الأمريكية -فضلا عن الروسية- حتى تحل البطالة بين العمال في أمريكا ليشكلوا ورقة ضاغطة ضد السياسة الأمريكية في عقر دارها ولذا يجب على المسلمين أن يعتبروا أمريكا دولة محاربة إذا أصرت على موقفها في دعم اليهود ، ويجب مقاطعة البضائع الأمريكية (السيارات والثلاجات والغسالات ولعب الأطفال والمرطبات وغيرها) حتى تتوقف البلايين الأمريكية المنصبة على اليهود.
ولا بد من الانصراف عن السياحة في أمريكا خاصة والصيف يطرق الابواب، فكيف نقابل الله عزوجل يوم القيامة ؟

وكيف نعمل بالآية الكريمة؟

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة .

وختاما

نحن ننصح الإخوة الذين يودون أن يعرفوا حجم القضية الجهادية وثقلها أن يأتوا لزيارتنا على الأقل في بيشاور وليضعوا أموالهم في الأيادي المستحقة يدا بيد: (ولغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها).

أو يربت بيده على رأس يتيم أو يزور الجرحى الذين سطروا بدمائهم أروع آيات التضحية والفداء.

إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

محرم 1409 هـ -- أغسطس 1988م

الإيضاحات حول حكم الجهاد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد:

1- فقد تكلمنا طويلا عن حكم الجهاد اليوم في أفغانستان وفلسطين وفي كل ما شابهها من أراضي المسلمين المغتصبة ، وأكدنا ما قرره السلف والخلف من محدثين ومفسرين وفقهاء وأصوليين أنه:

(إذا اعتدي على شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على أهل تلك البقعة .. تخرج المرأة دون إذن زوجها-بمحرم- والمدين دون إذن دائنه والولد دون إذن والده، فإن لم يكف أهل تلك البقعة أو قصروا أو قعدوا أو توسع فرض العين على من يليهم، وثم وثم إلى أن يعم فرض العين الأرض كلها فرضا لا يسعهم تركه كالصلاة والصوم وغيرها).

2- إن فريضة الجهاد اليوم تبقى عينية حتى تتحرر آخر بقعة إسلامية كانت بيد المسلمين واستولى عليها الكفار.

3- بعض العلماء يرون أن الجهاد الآن في أفغانستان وفلسطين فرض كفاية ونحن معهم أن الجهاد كان بالنسبة للعرب في أفغانستان فرض كفاية ولكن الجهاد بحاجة إلى رجال ولم يقم أهل أفغانستان بفرض الكفاية وهو إخراج الكفار من أفغانستان وهنا ينقلب فرض الكفاية ويصبح فرض عين ويبقى فرض عين في أفغانستان حتى يتجمع عدد من المجاهدين يكفون لطرد الشيوعيين وهذا يرجع الحكم من فرض عين إلى فرض كفاية.

4- ليس لأحد إذن من أحد في فروض الأعيان لأن القاعدة (لا استئذان في فروض الأعيان).

5- إن الذي يصد عن الجهاد كالذي يصد عن الصيام ، ومن نصح مسلما قادرا على عدم الذهاب للجهاد فهو في حكمه كمن نصحه بالافطار في رمضان وهو صحيح مقيم.

6- الأولى هجران الذين يثبطون عن الجهاد وعدم الدخول معهم في نقاش يؤدي إلى جدل يقسي القلوب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى(15/313):

(وجماع الهجرة هي هجرة السيئات وأهلها ، وكذلك هجران من يخالط هؤلاء كلهم أو يعاونهم ، وكذلك من يترك الجهاد الذي لا مصلحة لهم بدونه فإنه يعاقب بهجرهم له لما لم يعاونهم على البر والتقوى، فالزناة واللوطية ومن ترك الجهاد وأهل البدع وشربة الخمر فهؤلاء كلهم ومن خالطهم مضرة على دين الإسلام وليس فيهم معاونة على بر ولا تقوى ، فمن لم يهجرهم كان تاركا للمأمور فاعلا للمحظور).

ملاحظات هامة حول تطبيق الحكم

1- إننا عندما ندعو الناس للجهاد ونبين حكمه لا يعني أننا متكفلون بهم وبتذاكرهم وكفالة أسرهم إذ أن مهمة العلماء بيان الحكم الشرعي، وليس عليهم أن يحملوا الناس إلى الجهاد ويستدينوا من أموال الناس لكفالة أسر المجاهدين، فإذا بين ابن تيمية أو العز بن عبد السلام حكم قتال التتار فلا يعني هذا أنه يجب عليه تجهيز الجيش.

2- إن تنفيذ الفرائض وأدائها مبني على الاستطاعة فالحج فريضة على المستطيع ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا .

وكذلك الجهاد أداؤه حسب الاستطاعة، ففي الكتاب العزيز ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون التوبة/19 - 29.

قال ابن العربي2/995:

هذه الآيةالثانية: أقوى دليل على قبول عذر المعتذر بالحاجة والفقر عن التخلف في الجهاد إذا ظهر من حاله صدق الرغبة مع دعوى العجزة).

وقال القرطبي8/226:
(الآية أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شيء سقط عنه ، فتارة إلى بدل هو فعل وتارة إلى بدل هو عزم ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال).
ويفسر هذه الآية قوله تعالى: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .
وفي صحيح مسلم : (إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم المرض)، وفي رواية(حبسهم العذر).
قال القرطبي:
والجمهور من العلماء على أن من لا يجد ما ينفقه في غزوة أنه لا يجب عليه.
-يستدل القرطبي10/211 (ليس على أهل الزمانة -المرض المزمن- وأهل العجز عن السفر والغزو ولا على المرضى ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها إلى مغزاه حرج-وهو الإثم-).
ويقول ابن تيمية15/313:
(وما جاءت به الشريعة من المأمورات والعقوبات والكفارات وغير ذلك فإنه يفعل منه بقدر الاستطاعة).
وبناء على ما تقدم من نصوص العلماء:
1- فإن إثم القعود عن الجهاد ساقط عن أصحاب الأعذار ومن أصحاب الأعذار:
أ- من كان له زوجة وأولاد: وليس لهم معيل بالنفقة عليهم غيره أو ليس لهم من يقوم على خدمتهم وكفالتهم غيره فإذا استطاع أن يدبر لهم نفقة أثناء غيابه فإنه آثم بالقعود وعلى كل مسلم أن يقلل من نفقته ويوفر من راتبه حتى يتمكن من النفير.
ب- من لم يستطع أن يتحصل على تأشيرة قدوم إلى باكستان بعد محاولات كثيرة.
ج- من منعته حكومته بأخذ الجواز أو منعته من الخروج من المطار.
د- من له والدان وليس لهما معيل يقوم عليهما بالنفقة أو الخدمة غيره.
هـ - من لم يستطع الحصول على تذكرة قدوم توصله إلى الجهاد فأما التذاكر فإننا نستطيع تأمينها -بإذن الله-.
حكم التخوف من سؤال أجهزة الأمن إذا رجع المجاهد من الجهاد إلى مسقط رأسه:
إن هذا الأمر ليس عذرا أبدا لأنه ظن وشك ، واليقين لا يزول بالشك، فالجهاد يقيني والخوف من سؤال المخابرات شك، وكذلك لو تيقن أن المخابرات تسأله فهذا ليس عذرا يرفع به إثم القعود عن الجهاد لأن العذر بالإكراه المعتبر في الشريعة الذي يسقط به إثم ترك الفرائض هو:(الإكراه الملجيء الذي به فوات النفس أو العضو) أي تعذيب فيه موت أو قطع عضو.
وكذلك التخوف من أجهزة الأمن في البلدان التي يحمل جوازها ولو تيقن أنه إن رجع وأمسكت به قتلته أو قطعت عضوا من أعظائه فهذا ليس عذرا مقبولا عند الله لأنه في هذه الحالة يجب أن يترك بلده ويعيش في أرض الجهاد:
إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا النساء 97-98.
حكم جهاد النساء العربيات في أفغانستان
النساء العربيات لا يجوز لهن أن يأتين بدون محرم وعملهن مختص بالتعليم أو التمريض أو إغاثة المهاجرين، وأما القتال فلا تستطيع العربية القتال لأن المرأة الأفغانية حتى الآن لم تقاتل.
حكم الذي به عاهة تمنعه عن القتال ولكن لا تمنعه عن العمل في مجالات أخرى كالأعرج
إن فرضية العين لا تسقط عن الأعرج ولا عن المريض مرضا غير مقعد لأن بإمكانهم أن يعملوا في مجالات الصحة والتعليم وهو ميدان واسع والمجاهدون الآن حاجتهم إلى الدعاة أشد من حاجتهم إلى الطعام والسلاح والدواء.
قال ابن الهمام في فتح القدير5/441:
(وأما الذي يقدر على الخروج دون الدفع(القتال) ينبغي(يجب) أن يخرج لتكثير السواد فإن فيه إرهابا).
فإذا كان الخروج لتكثير العدد واجب فكيف بالخروج لتعليم المجاهدين أحكام دينهم؟ ..إن هذا أشد وجوبا وأعظم فريضة.
نداء إلى ذوي الأسر
وفي الختام ، نقول لأصحاب الأسر : لا يجوز أن يتركوا أسرهم وينفروا للجهاد بدون تأمين نفقتهم وبدون تأمين من يقوم على خدمتهم.
فمن أراد الخروج الآن من أرباب الأسر ومعه أسرته فنحن لا نستطيع كفالته فعليه أن يبحث مع المركز الإسلامي القريب منه أو مع بعض الأخيار حتى يؤمنوا له نفقة عياله، فعلى الفقراء من أرباب الأسر أن يبحثوا جادين عمن ينفق على أهاليهم أثناء غيابهم ويسعوا حثيثا لتدبير نفقتهم ثم ينفروا للجهاد.
وصايا إلى الشباب المسلم
كثير من الإخوة المتحمسين والمندفعين للمشاركة في الجهاد مع الإخوة الأفغان يرسل إلينا يسأل عن طريقة الوصول إلى هناك.
وقد وجد الدكتور الشهيد عبد الله عزام أنه لا بد من الإعداد النفسي للشاب القادم إلى أفغانستان حتى يكون على علم وبصيرة بالأرضية التي سينزل فيها ويعيش عليها، فإنه أدعى للثبات وأعون على الصبر وإليك بعض الملاحظات:

1- إن الجهاد في سبيل الله هو أشق الأمور على النفس وأصعبها ولا يحتمله إلا أفذاذ من البشر ، ولذا جعل الله الجزاء مقابلا للجهد والبلاء والمشقة.
2- إن الجهاد في أفغانستان أروع صورة للجهاد في العصر الحديث خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، ويعتبر خارقة من خوارق الدهر.
ولكن الذين يجاهدون هم بشر كبقية الناس وشعب كبقية الشعوب لهم أخطاؤهم ولهم مخالفاتهم وقد يذنبون الذنوب الصغيرة والكبيرة، وهو شيء طبيعي في البشر.
3- إن الجو العام في أفغانستان هو ثقيل جدا على النفس البشرية وهنا يأتي دورك في الصبر والمصابرة.
4- إن الشعب الأفغاني يحب العرب كثيرا ويحترمهم ويخدمهم بشرط واحد وهو أن يثق بهم، فإذا وثق بهم قدم لهم نفسه وروحه فداء.
5- إن فوق أرض الجهاد أناس من مشارب شتى ومدارس مختلفة، والقاعدة التي نسير عليها ههنا: (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه).
6- إن الصورة في بيشاور غير الصورة في داخل أفغانستان فلا يصدنك هذا من الدخول إلى أرض المعركة لترى بنفسك الصورة المشرقة للجهاد.
7- أخي الكريم:
إن الجهاد(صبر وثبات واستقامة واحتمال للشدائد كلها)، وعليك بتقوى الله والذكر.
8- كثر في الآونة الأخيرة التشكيك بعقيدة الأفغان وتجرأ بعض الجهلة فقالوا:
(إن القتال في أفغانستان حرب بين المشركين الأفغان والملحدين الروس)، وهذه لعمر الحق إحدى الكبر.
9- لا تنس أنك ضيف على الأفغان وأن هؤلاء القوم مهدوا لك السبيل لأداء فريضة الجهاد فالفضل لله أولا وآخرا ثم لهم فاحفظ لهم هذه المنة.
10- لا تنس أن الجهاد عبادة جماعية فلا بد لها من أمير ، والأمير واجب الطاعة.
(وإذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم).
وطاعة الأمير في السفر واجبة فكيف بطاعة أمير الجهاد، فلا بد أن تعتبر نفسك جنديا ، وإياك إياك أن تفرض نفسك ناقدا على الناس والجماعات.
؛جنموزج من رسالة وجهها الداعية الدكتور الشهيد عبد الله عزام إلى قادة الجبهات داخل أفغانستان في عيد الأضحى

القائد/ حفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
لقد من الله على المسلمين بكم إذ فتحتم باب الجهاد بعد أن أغلق منذ فترة ليست بالقليلة وأعزكم الله بهذا الجهاد واعتز بكم كل مسلم في الأرض به ، ورفع كل مسلم هامته وعاد الأمل العريض يحيي النفوس.
إنكم إن شاء الله المنطلق لإحياء دين الله في الأرض من جديد ولإنقاذ المستضعفين من أبناء هذا الدين في كل أرجاء المعمورة.
إن النصر الذي من الله به عليكم كان خارقة من خوارق العصر الحديث، وكانت كرامة كبرى أنعم الله بها على الناس ليضرب مثلا حيا أن شعبا فقيرا ضعيفا قد استطاع أن يقف أمام أشرس قوى الأرض وأعتاها، وذلك لإعادة التوكل على الله والثقة به إلى قلوب المسلمين .
كان حلما عزيزا يراود خيال كل مسلم أن يرى الإسلام مرة أخرى فوق منصة الحكم ويملك زمام التوجيه ويقود بحكمته الشعوب.
لقد عادت النفوس مرة أخرى تفكر كيف تنطلق في الأرض لتنقذ البشرية من جديد بهذا الدين .
إن أول عمل ينتظرنا بعد تحرير أفغانستان هو إنقاذ فلسطين وإنقاذ الولايات الإسلامية في تركستان الغربية والشرقية-طاجيكستان وتركمنستان ، قرنميزستان، قزمستان، أوزبكستان، وكشغر،.. وغيرها.
إن إنقاذ هذه الولايات فرض عين على كل مسلم في الأرض ولا استئذان من والد ولا دائن في الخروج للجهاد في هذه المناطق التي كانت تتظلل بظلال الإسلام في يوم من الأيام.
إن الجهاد هو السبيل الوحيد لانتزاع حقنا من مخالب الوحوش البشرية ومن بين براثنها:
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .
فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا النساء/48.
ولقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم ترك الجهاد بترك الدين ، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبوا داود وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(إذا ضن الناس بالدرهم والدينار وتبايعوا بالعينة وأمسكوا بأذناب البقر ورضوا بالزرع وتركوا الجهاد سلط الله عليهم ذلا لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم).
وقال صلى الله عليه وسلم:
(الإيمان الصبر والسماحة) حديث صحيح رواه أحمد.
أيها الإخوة:
لا تظنوا أن الانتصارات التي تنزلت على الشعب الأفغاني المسلم لشجاعته أو نخوته أو عدده أو عدته..
إن الذي نزل النصر هو رب العزة بدعاء الصالحين والفقراء، (وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم وفقرائكم) رواه البخاري.

فيا أيها الإخوة:
إياكم والغرور والإعجاب بالنفس والزهو بالنصر .. إنكم لا تملكـون لأنفسـكم ضـرا ولا نفعا ولا تمتلكـون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض:
ولـه من في السموات والأرض كل لـه قانتون .
عليكم بـالاخلاص والتقـوى والقيـام وصـيام النافلة وحفظ اللسـان وحب المسـلمين والبعد عن النخـوة القومية والعصبية القبلية الجاهلية، وإياكم ودماء المسـلمين فوالـذي نفسي بيـده إن حرمة دم المسـلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة المشرفة ، وفي الحـديث الصـحيح الـذي رواه الترمـذي والنسـائي عن ابن عمر رضي الله عنهما:
(لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم).
وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي:
(لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عزوجل في النار).
(من قتل مؤمنا فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا).
أيها الإخوة:
إن الوحدة عنوان النصر واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم رمز الهداية:
وإن تطيعوه تهتدوا .
يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون .
وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين .
أيها الإخوة:
هـؤلاء الإخـوة العـرب إنما هم قـادمون إليكم ليـؤدوا واجبهم في هـذا الجهـاد الإسـلامي وليسـهموا في خدمتكم وكلهم شوق لنيل الشهادة وكسب رضـوان الله لأن: (قيـام سـاعة في الصف للقتـال خـير من قيام ستين سنة) حديث صحيح رواه ابن عدي.
(موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود) حديث رواه ابن حبان.
وهؤلاء الشباب تركوا وظائفهم وجامعاتهم وودعوا الدنيا وزخرفها وأقبلوا على الله للمشـاركة في سـاح الجهاد وهم مذاهب مختلفة بعضهم من المذهب الحنفي وبعضهم من الشافعية والحنبلية والمالكية.
وقد أوصيناهم أن يحفظوا لكم مقامكم وأن يطيعوكم وأن لا ينازعوا الأمر أهله منهم، وبعضـهم قد مكث فترة طويلة حتى حصل على تأشيرة أو تذكرة للوصول إلى باكستان وإليكم.
فنأمل أن تسهلوا لهم مهمة خدمتكم والوقوف بجانبكم ولتعليمكم لغة القرآن وأحكام التنزيل.
وفقكم الله وقواكم ونصركم وأقام دولة الإسلام على أيديكم..
مكتب الخدمات / أخوكم الدكتور عبد الله عزام (إمضاء).